الفصل الرابع والثلاثون

أقوال وآراء لسيدنا علي ﷺ تخالف ما يقول به علماء الشيعة الإمامية الإثني عشرية

من المفيد أن أذكر نفسي والقارئ الكريم في بداية هذا الفصل بجوهر الرسالة الإسلامية، حتى لا يظن القارئ أن الإسلام نزل لمعالجة مسألة الحكم والسلطة في الجزيرة العربية، وبيان مكانة سيدنا علي ﷺ وذريته، أو بيان فضل بقية الخلفاء الراشدين.

جاء الإسلام، كما قال الصحابي الجليل ربعي بن عامر ﷺ، ليخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى سعة الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة.

وأركان الإسلام خمسة: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا ﷺ عبده ورسوله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا.

وقد جعل الإسلام الأصل في الأمور كلها الحل والإباحة إلا ما حرمه الله ورسوله، مثل القتل والزنا والسرقة والربا وعقوق الوالدين وأكل

مال اليتيم والخمر والميسر والميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به وشهادة الزور.

والإسلام دستور لمكارم الأخلاق: يأمر بأفضلها وأجملها وينهى عن كل الأخلاق والأفعال السيئة، حتى قال الرسول عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق".

هذا هو الإسلام بإيجاز شديد. وهذه هي مقوماته الأساسية التي زينته في قلوب ملايين البشر على مر الزمان، وأبقت جاذبيته حية متوهجة في الضمائر والقلوب، في مشارق الأرض ومغاربها.

أما ما نناقشه في هذه الرسالة من أطروحات علماء المسلمين الشيعة الإثني عشرية، عن الإمامة والعصمة والطعن في الصحابة وإخراج منكري الإمامة من دائرة الإيمان والحكم بجاهليتهم وخلودهم في النار، فمن موروثات حقبة الفتن في تاريخ الإسلام.

وإذ نناقش هذه الأطروحات، فإنني آمل أن يدرك القارئ المسلم بوجه خاص، الشيعي قبل السني، أن ما كافح من أجله الرسول ﷺ وصحابته الكرام رضي الله عنهم هو تلك المبادئ الخالدة التي حررت ملايين البشر على مر الزمان بعقيدة التوحيد وشريعة الإسلام ومكارم الأخلاق. هذا جوهر الإسلام، وليس الجدال فيمن كان أحق بالحكم والخلافة بعد وفاة خاتم النبيين ﷺ.

وقد حان الوقت للخروج من تراث عصر الفتن والنزاعات السياسية، والكف عن الإساءة للإسلام من باب الخلافات السياسية

للمسلمين، وتضخيمها وتحويلها إلى أصل الإسلام وجوهر رسالته وأعظم مقاصده.

ثم أعود بعد هذا التذكير الموجز لعرض نصوص منسوبة للإمام علي ﷺ في كتاب "نهج البلاغة" موافقة للمفاهيم المشهورة عند أهل السنة، ومناقضة لأطروحات علماء المسلمين الشيعة الإمامية الإثني عشرية.

* * *

علي يعتذر عن الخلافة بعد استشهاد عثمان رضي الله عنهما

أبدأ بعرض هذا النص الذي يعتذر فيه سيدنا علي - رضي الله عنهما - عن تولي الخلافة بعد استشهاد سيدنا عثمان ﷺ، وعنوان النص في كتاب نهج البلاغة: ومن كلام له عليه السلام لمّا أراده الناس على البيعة. يقول علي رضي الله عنه:

دَعُونِي وَالْتَمِسُوا غَيْرِي; فإِنَّا مُسْتَقْبِلُونَ أَمْراً لَهُ وُجُوهٌ وَأَلْوَانٌ; لاَ تَقُومُ لَهُ الْقُلُوبُ، وَلاَ تَثْبُتُ عَلَيْهِ الْعُقُولُ ، وَإِنَّ الآفَاقَ قَدْ أَغَامَتْ، وَالْمَحَجَّةَ قَدْ تَنَكَّرَتْ. وَاعْلَمُوا أَنِّي إِنْ أَجَبْتُكُمْ رَكِبْتُ بِكُمْ مَا أَعْلَمُ، وَلَمْ أُصْغ إِلَى قَوْلِ الْقَائِلِ وَعَتْبِ الْعَاتِبِ، وَإِنْ تَرَكْتُمُونِي فَأَنَا كَأَحَدِكُمْ; وَلَعَلِّي أَسْمَعُكُمْ وَأَطْوَعُكُمْ لِمَنْ وَلَّيْتُمُوهُ أَمْرَكُمْ، وَأَنَا لَكُمْ وَزِيراً، خَيْرٌ لَكُمْ مِنِّي أَمِيراً!

الشاهد من هذا النص أنه لو كان يعرف ما قال به علماء الشيعة

الإمامية الإثني عشرية في شأن إمامته وعصمته وولايته، لما اعتذر عن البيعة لأن إمامته نص ملزم من عند الله سبحانه وتعالي، ومن تركها ورفضها لم يعد مؤمنا، واستحق الخلود في النار.

فكيف يجوز له بهذا المنطق أن يقول للناس إنه كأحدهم، وأنه أنفع للناس في الوزارة وليس في الإمارة، وأن يجعلهم على حافة ارتكاب معصية تخرج المسلم من دائرة الإيمان بعدم مبايعته رضي الله عنه؟

قال مركز الأبحاث العقائدية، المتخصص في الدفاع عن عقائد الشيعة الإمامية الإثني عشرية، قال ردا على المدلول الواضح لهذا لنص: "أمير المؤمنين (عليه السلام) في هذا النص سعى إلى دفع الزعامة الدنيوية السياسية، لا الزعامة الدينية الإلهية، وسبب رفضه للرئاسة على الناس واضح ، فإن الناس قد اعتادوا نمطاً من الحكم وطريقة في الخلافة لا يرتضي بها الإمام فإذا حملوه على التصدي للخلافة فإنه لن يسير بسيرة الخلفاء السابقين بل يسير بسيرة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وهم قد ابتعدوا عنها فإذا فعل ذلك نقموا عليه وهذا سوف يؤدي إلى حدوث ردود أفعال لها نتائج وخيمة،".

المصدر:

http://www.aqaed.com/faq/print.php?sid=63&qid=2807

ما رأيكم أيها القرآء الكرام في هذا التأويل؟ أليس ضحكا على الذقون فعلا؟

علماء الشيعة حكموا بردة عموم صحابة النبي ﷺ لعدم مبايعتهم

سيدنا عليا ﷺ بالخلافة بعد وفاة النبي ﷺ، لأنهم قالوا إن خلافته أمر إلاهي وبيعته تمت يوم الغدير.

ثم عندما يأتيهم نص صريح من سيدنا علي يرد فيه الخلافة ويختار النصح والوزارة، يقولون إنه "سعى إلى دفع الزعامة الدنيوية السياسية، لا الزعامة الدينية الإلهية"!! ألم يكن سيدنا علي ﷺ قادرا على شرح هذا المعنى وبيانه للناس لو كان هذا هو فعلا رأيه؟!

حال مركز الأبحاث العقائدية، وعموم علماء الشيعة أمام هذا النص، هو حال من خالف الواقع والحق واخترع أمورا لا أساس لها من الصحة وصدقها واستثمر فيها وروجها، لذلك يلجأ إلى ليّ أعناق النصوص من القرآن الكريم والسنة والنبوية وأقوال سيدنا علي ﷺ لتوافق هواه ومزاعمه. وبالرغم من كل هذه الجهود فإن الحق ظاهر لكل ذي عينين، وناطق بأن سيدنا عليا ﷺ لم يكن يعتقد في نفسه ما يعتقده فيه علماء الشيعة الإمامية.

سيدنا علي يثني على حكم أبي بكر وعمر رضي الله عنهم

زعم مركز الأبحاث العقائدية أن سبب اعتذار سيدنا علي ﷺ بعد استشهاد سيدنا عثمان "واضح، فإن الناس قد اعتادوا نمطاً من الحكم وطريقة في الخلافة لا يرتضي بها الإمام فإذا حملوه على التصدي للخلافة فإنه لن يسير بسيرة الخلفاء السابقين بل يسير بسيرة النبي ﷺ وهم قد ابتعدوا عنها".

وهذا الإمام علي ﷺ ينقض كلام المركز ويرد أقوال علماء الشيعة الإمامية عامة، ويشهد لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما بعمل الحق. ورد النص في "نهج البلاغة" تحت عنوان:

ومن كلام له عليه السلام لما اجتمع الناس إليه وشكوا ما نقموه على عثمان وسألوه مخاطبته واستعتابه لهم، فدخل عليه فقال:

"إِنَّ النَّاسَ وَرَائِي، وَقَد اسْتَسْفَرُونِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ، وَوَاللّه مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لَكَ! مَا أَعْرِفُ شَيْئاً تَجْهَلُهُ، وَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى أَمْرٍ لاَ تَعْرِفُهُ، إِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نَعْلَمُ، مَا سَبَقْنَاكَ إِلَى شَيْءٍ فَنُخْبِرَكَ عَنْهُ، وَلاَ خَلَوْنَا بِشَيْءٍ فَنُبَلِّغَكَهُ، وَقَدْ رَأَيْتَ كَمَا رَأَيْنَا، وَسَمِعْتَ كَمَا سَمِعْنَا، وَصَحِبْتَ رَسُولَ اللّه -صَلَّى اللّه عَلَيْه وَآله- كَمَا صَحِبْنَا. وَمَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ وَلاَ ابْنُ الْخَطَّابِ بِأَوْلَى بِعَمَلِ الْحَقِّ مِنْكَ، وَأَنْتَ أَقْرَبُ إِلَى رَسُولِ اللّه -صَلَّى اللّه عَلَيْه وَآله وَسَلَّم- وَشِيجَةَ رَحِمٍ مِنْهُمَا، وَقَدْ نِلْتَ مِنْ صِهْرِهِ مَا لَمْ يَنَالاَ".

هذا نص يشهد فيه سيدنا علي ﷺ بأن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، عملا بالحق، ويحث فيه ثالث الخلفاء الراشدين ﷺ على أن يعمل بالحق مثلهما، وهذا معنى قوله له: وَمَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ وَلاَ ابْنُ الْخَطَّابِ بِأَوْلَى بِعَمَلِ الْحَقِّ مِنْكَ".

علي ﷺ يقطع بصحة صلة المصاهرة بين النبي ﷺ وعثمان رضي الله عنه

وفي هذا النص رد قاطع أيضا على علماء الشيعة الذين يشككون

في مصاهرة سيدنا عثمان ﷺ للنبي ﷺ، ففيه يقول الإمام علي لعثمان رضي الله عنها: وَأَنْتَ أَقْرَبُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَشِيجَةَ رَحِمٍ مِنْهُمَا، وَقَدْ نِلْتَ مِنْ صِهْرِهِ مَا لَمْ يَنَالاَ".

معلوم أن أبا بكر زوج بنته لرسول الله ﷺ، وعمر كذلك، فقول سيدنا علي لعثمان: وَقَدْ نِلْتَ مِنْ صِهْرِهِ مَا لَمْ يَنَالاَ" إشارة واضحة ونهائية إلى زواج سيدنا عثمان من بنتين من بنات رسول الله ﷺ.

سيدنا علي ينفي القول بإمامته الإلاهية وعصمته

ومما تضمنته كلمة سيدنا علي لسيدنا عثمان - رضي الله عنهما- النفي الواضح لنظرية الإمامة الإلاهية نظرية توصية النبي ﷺ بالخلافة من بعده لعلي ﷺ. هذا بقية ما قاله سيدنا علي لسيدنا عثمان:

"فَاللهَ اللهَ فِي نَفْسِكَ! فَإِنَّكَ - وَاللهِ - مَا تُبَصَّرُ مِنْ عَمىً، وَلاَ تُعَلَّمُ مِنْ جَهْلٍ، وَإِنَّ الْطُّرُقَ لَوَاضِحَةٌ، وَإِنَّ أَعْلاَمَ الدِّينِ لَقَائِمَةٌ. فَاعْلَمْ أَنَّ أَفْضَلَ عِبَادِاللهِ عِنْدَ اللهِ إِمَامٌ عَادِلٌ، هُدِيَ وَهَدَى، فَأَقَامَ سُنَّةً مَعْلُومَةً، وَأَمَاتَ بِدْعَةً مَجْهُولَةً، وَإِنَّ السُّنَنَ لَنَيِّرَةٌ، لَهَا أَعْلاَمٌ، وَإِنَّ الْبِدَعَ لَظَاهِرَةٌ، لَهَا أَعْلاَمٌ، وَإِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَاللهِ إِمَامٌ جَائِرٌ ضَلَّ وَضُلَّ بِهِ، فَأَمَاتَ سُنَّةً مَأْخُوذَةً، وَأَحْيَا بِدْعَةً مَتْرُوكَةً. وَإِنِي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ- يَقُولُ: «يُؤْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالإِمَامِ الْجَائِرِ وَلَيْسَ مَعَهُ نَصِيرٌ وَلاَ عَاذِرٌ، فَيُلْقَى فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيَدُورُ فِيهَا كَمَا تَدُورُ الرَّحَى، ثُمَّ يَرْتَبِطُ فِي قَعْرِهَا»".

سيدنا علي هنا يتحدث عن الإمام العادل والإمام الجائر، وينقل حديثا في هذا المعنى للنبي ﷺ ليس فيه أي إشارة إلى أن الحكم من بعده للإمام علي، ولا لبيعة الغدير.

ولو صحت أقوال الشيعة عما جرى في بيعة الغدير، وعن انعقاد الإمامة الإلهية يومئذ لسيدنا علي، لكانت في صلب حديثه لعثمان -رضي الله عنهما- لكنه ﷺ لم يكن على علم بها كما يدل على ذلك هذا النص الواضح منه، وكما يدل نص آخر له حاجج به الخوارج وورد في "نهج البلاغة" لما سمع قولهم "لا حكم إلا لله"، وجاء فيه:

"كَلِمَةُ حَقٍّ يُرَادُ بِهَا بَاطِلٌ! نَعَمْ إِنَّهُ لا حُكْمَ إِلاَّ للّه، ولكِنَّ هؤُلاَءِ يَقُولُونَ:لاَ إِمْرَةَ، فَإِنَّهُ لاَبُدَّ للنَّاس مِنْ أَمِير بَرّ أَوْ فَاجِر، يَعْمَلُ فِي إِمْرَتِه الْمُؤْمِنُ، وَيَسْتَمْتِعُ فِيهَا الْكَافِرُ، وَيُبَلِّغُ اللّه فِيهَا الأَجَلَ، وَيُجْمَعُ بِه الْفَيْءُ، وَيُقَاتَلُ بِه الْعَدُوُّ، وَتَأْمَنُ بِه السُّبُلُ، وَيُؤْخَذُ بِه لِلضَّعِيفِ مِنَ الْقَوِيِّ، حَتَّى يَسْتَرِيحَ بَرٌّ، وَيُسْتَرَاحَ مِنْ فَاجِر".

وهذا نص آخر في "نهج البلاغة" يشرح فيه سيدنا علي ﷺ حقوق الراعي على الرعية وحقوق الرعية على الراعي:

"جَعَلَ ـ سُبْحَانَهُ ـ مِنْ حُقُوقِه حُقُوقاً افْتَرَضَهَا لِبَعْضِ النَّاس عَلَى بَعْض، فَجَعَلَهَا تَتَكَافَأُ فِي وُجُوهِهَا، وَيُوجِبُ بَعْضُهَا بَعْضاً، وَلاَ يُسْتَوْجَبُ بَعْضُهَا إِلاَّ بِبَعْض. وَأَعْظَمُ مَا افْتَرَضَ ـ سُبْحَانَهُ ـ مِنْ تِلْكَ الْحُقُوقِ حَقُّ الْوَالِي عَلَى الرَّعِيَّةِ، وَحَقُّ الرَّعِيَّةِ، عَلَى الْوَالِي، فَرِيضَةٌ فَرَضَهَا اللّه ـ سُبْحَانَهُ ـ لِكُلٍّ عَلَى كُلٍّ، فَجَعَلَهَا نِظَاماً لأُلْفَتِهِمْ، وَعِزّاً لِدِينِهِمْ، فَلَيْسَتْ تَصْلُحُ الرَّعِيَّةُ إِلاَّ بِصَلاَحِ الْوُلاَةِ، وَلاَ تَصْلُحُ الْوُلاَةُ إِلاَّ بِاسْتِقَامَةِ الرَّعِيَّةِ. فَإِذَا أَدَّتِ الرَّعِيَّةُ إِلَى الْوَالِي حَقَّهُ، وَأَدَّى الْوَالِي إِلَيْهَا حَقَّهَا، عَزَّ الْحَقُّ

بَيْنَهُمْ، وَقَامَتْ مَنَاهِجُ الدِّينِ، وَاعْتَدَلَتْ مَعَالِمُ الْعَدْلِ، وَجَرَتْ عَلَى أَذْلَالِهَا السُّنَنُ ، فَصَلَحَ بِذلِكَ الزَّمَانُ، وَطُمِعَ فِي بَقَاءِ الدَّوْلَةِ، وَيَئِسَتْ مَطَامِعُ الْأَعْدَاءِ.

وَإِذَا غَلَبَتِ الرَّعِيَّةُ وَالِيَهَا، أَوْ أَجْحَفَ الْوَالِي بِرَعِيَّتِه، اخْتَلَفَتْ هُنَالِكَ الْكَلِمَةُ، وَظَهَرَتْ مَعَالِمُ الْجَوْرِ، وَكَثُرَ الْإِدْغَالُ فِي الدِّينِ، وَتُرِكَتْ مَحَاجُّ السُّنَنِ، فَعُمِلَ بِالْهَوَى، وَعُطِّلَتِ الْأَحْكَامُ، وَكَثُرَتْ عِلَلُ النُّفُوسِ، فَلاَ يُسْتَوْحَشُ لِعَظِيمِ حَقٍّ عُطِّلَ، وَلاَ لِعَظِيمِ بَاطِلٍ فُعِلَ! فَهُنَالِكَ تَذِلُّ الْأَبْرَارُ، وَتَعِزُّ الْأَشْرَارُ، وَتَعْظُمُ تَبِعَاتُ اللهِ سُبْحَانَهُ عِنْدَ الْعِبَادِ.

فَعَلَيْكُمْ بِالتَّنَاصُحِ فِي ذَلِكَ، وَحُسْنِ التَّعَاوُنِ عَلَيْهِ، فَلَيْسَ أَحَدٌ - وَإِنِ اشْتَدَّ عَلَى رِضَى اللهِ حِرْصُهُ، وَطَالَ فِي الْعَمَلِ اجْتِهَادُهُ - بِبَالِغٍ حَقِيقَةَ مَا اللهُ سُبْحَانَهُ أَهْلُهُ مِنَ الطَّاعَةِ لَهُ. وَلَكِنْ مِنْ وَاجِبِ حُقُوقِ اللهِ عَلَى عِبَادِهِ النَّصِيحَةُ بِمَبْلَغِ جُهْدِهِمْ، وَالتَّعَاوُنُ عَلَى إِقَامَةِ الْحَقِّ بَيْنَهُمْ.

وَلَيْسَ امْرُؤٌ - وَإِنْ عَظُمَتْ فِي الْحَقِّ مَنْزِلَتُهُ، وَتَقَدَّمَتْ فِي الدِّينِ فَضِيلَتُهُ - بِفَوْقِ أَنْ يُعَانَ عَلَى مَا حَمَّلَهُ اللهُ مِنْ حَقِّهِ. وَلاَ امْرُؤٌ - وَإِنْ صَغَّرَتْهُ النُّفُوسُ، وَاقْتَحَمَتْهُ الْعُيُونُ - بِدُونِ أَنْ يُعِينَ عَلَى ذلِكَ أَوْ يُعَانَ عَلَيْهِ".

سيدنا علي رضي الله عنه يؤكد هنا مبادئ الإسلام التي تجعل الحكم أمراً تعاقدياً بين الأمة والحاكم، وتخضع الحاكم لسلطة الشريعة، وتجعل الشورى منهاجاً في الإدارة العامة لشؤون الدولة.

جهر سيدنا علي بكلامه هذا في خطبة قالها بصفين، وحضرها كثير من أصحابه. وفي هذا المقطع من الخطبة، قام واحد من أصحابه فأجابه بكلام طويل، أكثر فيه الثناء عليه، وذكر سمعه وطاعته له. فقال

الإمام علي ﷺ يعلق على هذا المدح وينفي عن نفسه العصمة:

"إِنَّ مِنْ حَقٍّ مَنْ عَظُمَ جَلاَلُ اللهِ سُبْحَانَهُ فِي نَفْسِه، وَجَلَّ مَوْضِعُهُ مِنْ قَلْبِه، أَنْ يَصْغُرَ عِنْدَهُ ـ لعظم ذلك ـ كُلُّ مَا سِوَاهُ، وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ كَانَ كَذلِكَ لَمَنْ عَظُمَتْ نِعْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ، وَلَطُفَ إِحْسَانُهُ إِلَيْهِ، فَإِنَّهُ لَمْ تَعْظُمْ نِعْمَةُ اللهِ عَلَى أَحَدٍ إِلاَّ ازْدَادَ حَقُّ اللهِ عَلَيْهِ عِظَماً.

وَإِنَّ مِنْ أَسْخَفِ حَالاَتِ الْوُلاَةِ عِنْدَ صَالِحِ النَّاسِ، أَنْ يُظَنَّ بِهِمْ حُبُّ الْفَخْرِ، وَيُوضَعَ أَمْرُهُمْ عَلَى الْكِبْرِ، وَقَدْ كَرِهْتُ أَنْ يَكُونَ جَالَ فِي ظَنِّكُمْ أَنِّي أُحِبُّ الإِطْرَاءَ، وَاسْتِمَاعَ الثَّنَاءِ، وَلَسْتُ ـ بِحَمْدِ اللهِ ـ كَذلِكَ، وَلَوْ كُنْتُ أُحِبُّ أَنْ يُقَالَ ذلِكَ لَتَرَكْتُهُ انْحِطَاطاً لِلَّهِ سُبْحَانَهُ عَنْ تَنَاوُلِ مَا هُوَ أَحَقُّ بِهِ مِنَ الْعَظَمَةِ وَالْكِبْرِيَاءِ. وَرُبَّمَا اسْتَحْلَى النَّاسُ الثَّنَاءَ بَعْدَ الْبَلاَءِ ، فَلاَ تُثْنُوا عَلَيَّ بِجَمِيلِ ثَنَاءٍ، لِإِخْرَاجِي نَفْسِي إِلَى اللهِ وَ إِلَيْكُمْ مِنَ التَّقِيَّةِ فِي حُقُوقٍ لَمْ أَفْرُغْ مِنْ أَدَائِهَا، وَفَرَائِضَ لاَ بُدَّ مِنْ إِمْضَائِهَا، فَلاَ تُكَلِّمُونِي بِمَا تُكَلَّمُ بِهِ الْجَبَابِرَةُ، وَلاَ تَتَحَفَّظُوا مِنِّي بِمَا يُتَحَفَّظُ بِهِ عِنْدَ أَهْلِ الْبَادِرَةِ، وَلاَ تُخَالِطُونِي بِالْمُصَانَعَةِ ، وَلاَ تَظُنُّوا بِيَ اسْتِثْقَالاً فِي حَقٍّ قِيلَ لِي، وَلاَ الْتِمَاسَ إِعْظَامٍ لِنَفْسِي، فَإِنَّهُ مَنِ اسْتَثْقَلَ الْحَقَّ أَنْ يُقَالَ لَهُ أَوِ الْعَدْلَ أَنْ يُعْرَضَ عَلَيْهِ، كَانَ الْعَمَلُ بِهِمَا أَثْقَلَ عَلَيْهِ.

فَلاَ تَكُفُّوا عَنْ مَقَالَةٍ بِحَقٍّ، أَوْ مَشُورَةٍ بِعَدْلٍ، فَإِنِّي لَسْتُ فِي نَفْسِي بِفَوْقِ أَنْ أُخْطِئَ، وَلاَ آمَنُ ذلِكَ مِنْ فِعْلِي، إِلاَّ أَنْ يَكْفِيَ اللهُ مِنْ نَفْسِي مَا هُوَ أَمْلَكُ بِهِ مِنِّي، فَإِنَّمَا أَنَا وَأَنْتُمْ عَبِيدٌ مَمْلُوكُونَ لِرَبٍّ لاَ رَبَّ غَيْرُهُ، يَمْلِكُ مِنَّا مَا لاَ نَمْلِكُ مِنْ أَنْفُسِنَا، وَأَخْرَجَنَا مِمَّا كُنَّا فِيهِ إِلَى مَا صَلَحْنَا عَلَيْهِ، فَأَبْدَلَنَا بَعْدَ الضَّلاَلَةِ بِالْهُدَى، وَأَعْطَانَا الْبَصِيرَةَ بَعْدَ الْعَمَى".

أين مزاعم الإمامة الإلاهية هنا وبيعة الغدير والعصمة التي يقوم عليها مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية؟

لو كانت صحيحة لما احتاج علي ﷺ لنصيحة أحد، ولما شرح حقوق الراعي والرعية.

والظاهر بشكل واضح أنه لا علم لسيدنا علي ﷺ بكل هذه المزاعم والأفكار.

سيدنا علي ينفي وراثته لعلم النبي ﷺ

وفي كلمته لسيدنا عثمان ﷺ، نفي سيدنا علي ﷺ ما يقوله علماء الشيعة من أنه وارث علم النبي ﷺ وأنه يعلم الغيب. ونفى ما يروجونه من أن النبي ﷺ اختصه بوصية جاءت في كتاب من عند الله عز وجل، ونقلها إليه المصطفى عليه الصلاة والسلام بحضور جبريل وميكائيل والملائكة المقربين.

نسف سيدنا علي ﷺ كل هذه الأخبار والقصص الموضوعة، وأقسم بالله العظيم أنه لا يعرف شيئا اختص به عن سيدنا عثمان ﷺ، وقال: "وَاللهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لَكَ! مَا أَعْرِفُ شَيْئاً تَجْهَلُهُ، وَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى أَمْرٍ لاَ تَعْرِفُهُ، إِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نَعْلَمُ، مَا سَبَقْنَاكَ إِلَى شَيْءٍ فَنُخْبِرَكَ عَنْهُ، وَلاَ خَلَوْنَا بِشَيْءٍ فَنُبَلِّغَكَهُ، وَقَدْ رَأَيْتَ كَمَا رَأَيْنَا، وَسَمِعْتَ كَمَا سَمِعْنَا، وَصَحِبْتَ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ- كَمَا صَحِبْنَا.

سيدنا علي يستشهد ببيعة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم ويقول بالشورى

ومن النصوص الجلية الواضحة الأخرى لسيدنا علي ﷺ في "نهج البلاغة"، نص ورد في إحدى رسائله لوالي الشام معاوية بن أبي سفيان، يدافع فيه عن صحة بيعته وصحة بيعة الخلفاء الراشدين من قبله، رضي الله عنهم، ويقول فيها رأياً صريحاً لا يحتمل التأويل، ينحاز فيها للشورى في أمر الخلافة وليس للنص والوصية كما يقول علماء الشيعة الإمامية، جاء في نهج البلاغة: ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية:

"إِنَّهُ بَايَعَنِي الْقَوْمُ الَّذِينَ بَايَعُوا أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ عَلَى مَا بَايَعُوهُمْ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَكُنْ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَخْتَارَ، وَلَا لِلْغَائِبِ أَنْ يَرُدَّ، وَإِنَّمَا الشُّورَى لِلْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، فَإِنِ اجْتَمَعُوا عَلَى رَجُلٍ وَسَمَّوْهُ إِمَاماً كَانَ ذلِكَ لِلَّهِ رِضىً، فَإِنْ خَرَجَ عَنْ أَمْرِهِمْ خَارِجٌ بِطَعْنٍ أَوْ بِدْعَةٍ رَدُّوهُ إِلَى مَا خَرَجَ مِنْهُ، فَإِنْ أَبَى قَاتَلُوهُ عَلَى اتِّبَاعِهِ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ، وَوَلَّاهُ اللَّهُ مَا تَوَلَّى".

أيها المسلمون في كل عصر ومصر: هذا قول الإمام علي في أوثق الكتب عند المسلمين الشيعة، واضح لا يحتاج إلى شرح أو تفسير، يدافع فيه عن بيعته بإثبات صحة بيعة الخلفاء الراشدين من قبله، ويدافع عن الشورى بحجة قوية واضحة.

هل يصدر هذا القول عن رجل يعتقد أنه تمت بيعته من المسلمين يوم الغدير؟

هل يصدر هذا القول عن رجل يعتقد كفر الخلفاء الراشدين من قبله وخلودهم في النار كما يقول الشيخ المفيد وعلماء الشيعة من بعده؟

وهل يصدر حديثه في الشورى من رجل يرى أن جميع الصحابة (باستثناء سبعة أو تسعة أشخاص) ارتدوا بعد وفاة رسول الله ﷺ لأنهم بايعوا غيره بالخلافة؟

طبعا لا. هذا ما يجيب به كل منصف متجرد في بحثه عن الحق. وأذكر أنني قرأت هذا النص على أخ كريم شيعي من الكويت فاتهمني باختلاقه، وبالكذب، لأنه لم يكن يصدق أن هذا النص موجود في "نهج البلاغة". وحتى بعدما أظهرته له في موقع على شاشة الحاسوب، في موقع يعرض كتاب "نهج البلاغة"، أصر على الرفض والعناد!!

مشكلة هذا النص - إذا جاز التعبير - أنه ينسف نظرية الشيعة الإمامية الإثني عشرية، ولذلك كان لزاماً على علمائهم ودعاتهم أن يؤلوه بخلاف معناه الواضح الجلي.

أما مشكلة علماء الشيعة الإمامية الإثني عشرية فهي أنهم مضطرون للقيام بدور "الوصي" على سيدنا علي رضي الله عنه عند سعيهم لتأويل أقواله إلى خلاف معناها الواضح الجلي، إنهم يجعلون سيدنا عليًّا رضي الله عنه في مقام العاجز عن التعبير عن رأيه وبيان الرسالة التي يريد إيصالها للناس، ثم بعد ذلك يتولون هم مهمة "البيان والإيضاح"، أي مهمة تأويل أقوال سيدنا علي رضي الله عنه على غير قصدها ومعناها.

من أمثله ذلك ما ينقله مركز الأبحاث العقائدية في تعليق مطول

له على هذا النص. يقول:

"وأما النص الذي يقول: ((فإنه قد بايعني القوم...إلخ))، فهو كتاب كان قد بعثه الإمام ﷺ إلى معاوية وتحدث فيه وفق قاعدة الالزام، وهي القاعدة التي تستعمل في مقام الاحتجاج على الخصوم وإلزامهم بما ألزموا به أنفسهم من قبل..

بمعنى: إن كان معاوية يرى صحة الذين سبقوا الإمام ﷺ بأن المسلمين قد بايعوهم، فما يكون لمعاوية بعد هذا إلا الانصياع للأمر الذي ألزم به نفسه ويبايع للإمام ﷺ لأنه قد بايع الإمام ﷺ القوم الذين بايعوا السابقين عليه، وإلا يكون حال معاوية ممن يتبع هواه وليس له أساس يستند عليه فيما يقول أو يفعل.

وهذا الكلام الصادر عن الإمام ﷺ قد جرى وفق مقتضى الحال، وهي القاعدة البلاغية التي تلزم بالإتيان للمنكر بكل الوسائل الممكنة للإثبات، وقاعدة الإلزام هنا هي إحدى الوسائل النافعة في المقام، بل وجدنا من يذكر هذا الإلزام بصريح العبارة عنه ﷺ".

وورد في جواب المركز أيضا: "لا يتصور أحد أن هذا خلاف ما يعتقده ﷺ أو تعتقده شيعته عن الخلافة بأنها تتم بالنص الإلهي دون الشورى، وإنما كلامه ﷺ قد ورد هنا وفق القاعدة التي أشرنا إليها قبل قليل، فكأن كلامه ﷺ هنا هو: إن كنت يا معاوية لا ترى الخلافة بالنص الإلهي، وإنها تتم عندك بالاختيار واجتماع أهل الحل والعقد، فأمرها لا يعدو المهاجرين والأنصار، فهم أهل الشورى، وها هم قد بايعوني كما

بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان من قبل، فما كان لك يا معاوية أن ترد هذه البيعة أو تحتال عليها بأي حال".

ويضيف المركز: وأما قوله عليه السلام: ((فإن اجتمعوا على رجل وسمّوه إماماً، كان ذلك لله رضا..)) فهو يشتمل على دلالة لطيفة، وهو أقرب للتعريض منه بالإقرار، فمن المعلوم أنه عليه السلام قد ناهض الخلفاء الثلاثة الذين سبقوه جمع كبير من المهاجرين والأنصار، كما هو الثابت تاريخياً في هذه القضية".ويضيف أيضا: ويشير عليه السلام إلى أنه الوحيد الذي اجتمع عليه المهاجرون والأنصار بأغلبية غالبة في المدينة، وقد قال عليه السلام يصف هذه الحالة في خطبة له: ((فما راعني إلا والناس كعرف الضبع إليَّ ينثالون عليَّ من كل جانب حتى لقد وطئ الحسنان، وشقَّ عطفاي، ومجتمعين حولي كربيضة الغنم)).

المصدر:

http://www.aqaed.com/faq/print.php?sid=202&qid=1709

يقرأ المرء هذا التحايل المكشوف على القول الموجز الواضح لسيدنا علي فيشعر بالشفقة والحزن على أصحابه، هل كان سيدنا علي رضي الله عنه عاجزا عن أن يقول لمعاوية ما قاله مركز الأبحاث العقائدية؟ كلا بالطبع.

وهو لم يقله لأنه لم يكن يعتقد به أو يفكر فيه. لقد قال الحق الذي في نفسه. ولم يكن يمارس التقية ولا الخداع، وهذا هو رأيه واضح وصريح في رسالته لمعاوية:

إِنَّهُ بَايَعَنِي الْقَوْمُ الَّذِينَ بَايَعُوا أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمانَ عَلَى مَا بَايَعُوهُمْ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَكُنْ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَخْتَارَ، وَلاَ لِلغَائِبِ أَنْ يَرُدَّ، وَإِنَّمَا الشُّورَى لِلْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، فَإِنِ اجْتَمَعُوا عَلَى رَجُلٍ وَسَمَّوْهُ إِمَاماً كَانَ ذلكَ لِلَّهِ رِضىً، فَإِنْ خَرَجَ عَنْ أَمْرِهِمْ خَارِجٌ بِطَعْنٍ أَوْبِدْعَةٍ رَدُّوهُ إِلَى مَاخَرَجَ مِنْهُ، فَإِنْ أَبَى قَاتَلُوهُ عَلَى اتِّبَاعِهِ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ، وَوَلاَّهُ اللَّهُ مَا تَوَلَّى".

سيدنا علي كان مستشاراً ناصحاً للفاروق رضي الله عنهما

وينسجم مع الأقوال السابقة لسيدنا علي ما ورد في "نهج البلاغة" من كلام قاله لعمر بن الخطاب عندما استشاره في الخروج بنفسه وقيادة بعض المعارك التي واجهتها الدولة الإسلامية في العقد الثاني للهجرة.

هذه مشورة علي لثاني الخلفاء الراشدين عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما استشاره في الخروج إلى غزوالروم:

"قَدْ تَوَكَّلَ اللَّهُ لأَهْلِ هَذا الدِّينِ بِإِعْزَازِ الْحَوْزَةِ، وَسَتْرِ الْعَوْرَةِ. وَالَّذِي نَصَرَهُمْ وَهُمْ قَلِيلٌ لاَ يَنْتَصِرُونَ، وَمَنَعَهُمْ وَهُمْ قَلِيلٌ لاَ يَمْتَنِعُونَ، حَيٌّ لاَ يَمُوتُ. إِنَّكَ مَتَى تَسِرْ إِلَى هذَا الْعَدُوِّ بِنَفْسِكَ، فَتَلْقَهُمْ بِشَخْصِكَ فَتُنْكَبْ، لاَ تَكُنْ لِلْمُسْلِمِينَ كَانِفَةٌ دُونَ أَقْصَى بِلاَدِهِمْ. وَلَيْسَ بَعْدَكَ مَرْجِعٌ يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ، فَابْعَثْ إِلَيْهِمْ رَجُلاً مِحْرَباً، وَاحْفِزْ مَعَهُ أَهْلَ الْبَلاَءِ وَالنَّصِيحَةِ، فَإِنْ أَظْهَرَ اللَّهُ فَذَاكَ مَا تُحِبُّ، وَإِنْ تَكُنِ الْأُخْرَى، كُنْتَ رِدْأً لِلنَّاسِ وَمَثَابَةً لِلْمُسْلِمِينَ".

أرجو أن ينتبه القارئ الكريم هنا إلى الصفات التي يصف بها علي ﷺ مسلمي عصره وجلهم من الصحابة، وهو ينصح عمر - رضي الله عنهم - بإرسالهم لساحة المعركة: إنه يشهد بإسلامهم، ويصفهم بأهل البلاء والنصيحة، هل يجوز مثل هذا القول لو كان يعتقد بردتهم وبخروجهم عن الإيمان كما يقول علماء الشيعة الإمامية؟

سأعود لهذا الأمر بتفصيل أكثر في الفصل المقبل، وأبق في شأن مناصحة علي لعمر، حيث ورد في "نهج البلاغة" أيضا أن سيدنا عليًّا خاطب الفاروق - رضي الله عنهما - عندما استشاره في الخروج للمعارك مع الفرس فقال:

"إِنَّ هذَا الْأَمْرَ لَمْ يَكُنْ نَصْرُهُ وَلاَ خذْلاَنُهُ بِكَثْرَة وَلاَ بقلَّة، وَهُوَ دينُ اللَّه الَّذي أَظْهَرَهُ، وَجُنْدُهُ الَّذي أَعَدَّهُ وَأَمَدَّهُ، حَتَّى بَلَغَ مَا بَلَغَ، وَطَلَعَ حَيْثُ طَلَعَ، وَنَحْنُ عَلَى مَوْعُود منَ اللَّه، وَاللَّه مُنْجزٌ وَعْدَهُ، وَنَاصرٌ جُنْدَهُ. وَمَكَانُ الْقَيِّم بِالْأَمْر مَكَانُ النِّظَام منَ الْخَرَز يَجْمَعُهُ وَيَضُمُّهُ: فَإِن انْقَطَعَ النِّظَامُ تَفَرَّقَ وَذَهَبَ، ثُمَّ لَمْ يَجْتَمعْ بحَذَافيره أَبَداً. وَالْعَرَبُ الْيَوْمَ وَإِنْ كَانُوا قَليلاً، فَهُمْ كَثيرُونَ بِالْإِسْلاَم، عَزيزُونَ بِالْاجْتمَاع! فَكُنْ قُطْباً، وَاسْتَدِرِ الرَّحَا بِالْعَرَب، وَأَصْلهِمْ دُونَكَ نَارَ الْحَرْب، فَإِنَّكَ إِنْ شَخَصْتَ منْ هذه الْأَرْض انْتَقَضَتْ عَلَيْكَ الْعَرَبُ منْ أَطْرَافهَا وَأَقْطَارهَا، حَتَّى يَكُونَ مَا تَدَعُ وَرَاءَكَ منَ الْعَوْرَات أَهَمَّ إِلَيْكَ ممَّا بَيْنَ يَدَيْكَ، إِنَّ الْأَعَاجمَ إِنْ يَنْظُرُوا إِلَيْكَ غَداً يَقُولُوا: هذَا أَصْلُ الْعَرَب، فَإِذَا اقْتَطَعْتُمُوهُ اسْتَرَحْتُمْ، فَيَكُونُ ذلكَ أَشَدَّ لكَلَبهمْ عَلَيْكَ، وَطَمَعهمْ فيكَ. فَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ منْ مَسير الْقَوْم إِلَى قتَال الْمُسْلمينَ، فَإِنَّ اللَّه سُبْحَانَهُ هُوَ أَكْرَهُ لمَسيرهمْ منْكَ، وَهُوَ أَقْدَرُ عَلَى تَغْيير مَا يَكْرَهُ. وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ منْ

عَدَدهمْ، فَإِنَّا لَمْ نَكُنْ نُقَاتِلُ فِيمَا مَضَى بِالْكَثْرَةِ، وَإِنَّمَا كُنَّا نُقَاتِلُ بِالنَّصْرِ وَالْمَعُونَةِ!"

ينكر مركز الأبحاث العقائدية أهمية هذا النص ويقول عنه: "هذا الكلام منه عليه السلام بعيد عن مسألة المحبة أو مسألة الاعتراف بالخلافة، بل هو خاضع لمصالح عليا وهي مصلحة الإسلام التي كان الإمام عليه السلام ينظر إليها كمصلحة حاكمة على كل المصالح الأخرى ومتقدمة عليها".

لكن المركز لا يجيب: هل يصدر هذا القول عن شخص يعتقد في ثاني الخلفاء الراشدين أنه كافر مرتد مخلد في النار كما يقول بذلك المفيد شيخ الطائفة في كتابه المنشور في المكتبة العقائدية لمركز الأبحاث العقائدية وهو مركز من مراكز آية الله السيستاني كما بينت ذلك أكثر من مرة؟

وإن كان ذلك هو اعتقاده فيه، فهل يجوز له أن يخلص له في النصيحة؟

ولا يجيب المركز أيضا عن سؤال آخر مهم جدا: لو كان عمر متورطاً فعلاً في الاعتداء على السيدة فاطمة الزهراء -رضي الله عنها- وكسر ضلعها وقتل جنينها، مما أدى لوفاتها هي نفسها - رضي الله عنها - لو كان هذا صحيحاً كما يقول المركز وجمهور علماء الشيعة، فكيف يستقيم عقلاً أن يكون زوج الفقيدة مستشاراً ناصحاً للمتهم بقتل الزوجة؟

الواضح أن مركز الأبحاث العقائدية وعلماء الشيعة الإمامية الإثني عشرية واقعون في ورطة كبرى تجاه هذه النصوص الواردة عن سيدنا علي رضي الله عنه، لذلك يشرقون ويغربون في صرفها عن معناها الصحيح.

أما سيدنا علي فقد نصح لولي أمر المسلمين لأنه كان مبايعاً له، يصلِّى خلفه، ويرى صلاحه. كانت العلاقة بينهما طيبة وقوية، بدليل أن الفاروق استخلف عليًّا - رضي الله عنهما - عند سفره الطويل لاستلام مفاتيح بيت المقدس، وبدليل المصاهرة بينهما، وبدليل اختيار الفاروق لأبي الحسن ضمن الستة الذين يكون منهم الخليفة من بعده.

مثل هذه العلاقة الحميمة لا تقوم بين رجلين تورط أحدهما في قتل زوجة الآخر، واغتصب حقه في الحكم، سواء كانا مسلمين أو غير مسلمين، عرباً أو غير عرب!! ولذلك لا يقبل العقل والمنطق روايات الشيعة التي اخترعت العداوة والبغضاء بين الرجلين.

مركز الأبحاث العقائدية يستشهد بحديث في صحيح مسلم لنقض دعوى المحبة بين علي والشيخين رضي الله عنهم

في سياق موقفه العقائدي المسبق المبغض للصحابة عامة ولأبي بكر وعمر وعثمان - رضي الله عنهم - بوجه خاص، حاول مركز الأبحاث العقائدية التقليل من أهمية الأدلة التي تشير إلى العلاقة الطيبة بين علي ﷺ وبقية الخلفاء الراشدين.

ومن ذلك استشهاده براوية أخرجها مسلم تتضمن حواراً جرى بين العباس وعلي وعمر بن الخطاب ﷺ في شأن ميراث رسول الله ﷺ، الرواية التي أخرجها مسلم تبدأ بشكوى من العباس في حق علي، وفيها رد من عمر على الاثنين، -رضي الله عنهما- في مسألة يتضح أنها حسمت وانتهت.

مركز الأبحاث العقائدية لا يورد الرواية من بدايتها، وإنما يبترها، ليتجاوز عبارات منسوبة للعباس في حق علي - رضي الله عنهما- ثم يروي أجزاء أخرى من الرواية ذاتها لتضمنها عبارات توحي بخلاف حول التعامل مع مسألة الميراث بين علي والعباس من جهة، وأبي بكر وعمر من جهة أخرى.

وقد بينت دائما أن التلاعب بالروايات وبترها ليس من الأمانة العلمية ولا يتفق مع الأخلاق الإسلامية.

ولذلك فإن مركز الأبحاث العقائدية ملزم بقبول الرواية كلها أو تركها وعدم الاستشهاد بها لما فيها من عبارات تسيء للإمام علي ﷺ وعمه العباس.

والحل لهذه المسألة سهل وميسر، ويتمثل في العودة للرواية التي اخرجها البخاري عن هذه الجلسة في صحيحه، وهذا نصها: حدثنا سعيد بن عفير قال حدثني الليث قال حدثني عقيل عن ابن شهاب قال أخبرني مالك بن أوس بن الحدثان وكان محمد بن جبير بن مطعم ذكر لي ذكرا من حديثه فانطلقت حتى دخلت على مالك بن أوس فسألته فقال مالك انطلقت حتى أدخل على عمر إذ أتاه حاجبه يرفا فقال هل لك في عثمان وعبد الرحمن والزبير وسعد يستأذنون؟

قال نعم. فأذن لهم، قال فدخلوا وسلموا فجلسوا.

ثم لبث يرفا قليلا فقال لعمر: هل لك في علي وعباس؟ قال نعم فأذن لهما.

فلما دخلا سلما وجلسا فقال عباس: يا أمير المؤمنين اقض بيني وبين هذا. فقال الرهط، عثمان وأصحابه: يا أمير المؤمنين اقض بينهما وأرح أحدهما من الآخر.

فقال عمر اتئدوا. أنشدكم بالله الذي به تقوم السماء والأرض هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قال لا نورث ما تركنا صدقة، يريد رسول الله ﷺ نفسه؟

قال الرهط قد قال ذلك.

فأقبل عمر على علي وعباس، فقال أنشدكما بالله هل تعلمان أن رسول الله ﷺ قال ذلك؟ قالا قد قال ذلك.

قال عمر فإني أحدثكم عن هذا الأمر إن الله كان قد خص رسوله ﷺ في هذا المال بشيء لم يعطه أحدا غيره قال الله "ما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل" إلى قوله "قدير".

فكانت هذه خالصة لرسول الله ﷺ، والله ما احتازها دونكم ولا استأثر بها عليكم، لقد أعطاكموها وبثها فيكم حتى بقي منها هذا المال فكان رسول الله ﷺ ينفق على أهله نفقة سنتهم من هذا المال ثم يأخذ ما بقي فيجعله مجعل مال الله، فعمل بذلك رسول الله ﷺ حياته. أنشدكم بالله هل تعلمون ذلك؟ قالوا نعم.

قال لعلي وعباس أنشدكما بالله هل تعلمان ذلك قالا نعم. ثم توفى الله نبيه ﷺ فقال أبو بكر أنا ولي رسول الله فقبضها أبو بكر يعمل فيها بما عمل به فيها رسول الله ﷺ وأنتما حينئذ، وأقبل على علي

وعباس، تزعمان أن أبا بكر كذا وكذا والله يعلم أنه فيها صادق بار راشد تابع للحق.

ثم توفى الله أبا بكر فقلت أنا ولي رسول الله ﷺ وأبي بكر فقبضتها سنتين أعمل فيها بما عمل رسول الله ﷺ وأبو بكر، ثم جئتماني وكلمتكما واحدة وأمركما جميع جئتني تسألني نصيبك من ابن أخيك وأتى هذا يسألني نصيب امرأته من أبيها.

فقلت: إن شئتما دفعته إليكما على أن عليكما عهد الله وميثاقه لتعملان فيها بما عمل به رسول الله ﷺ وبما عمل به فيها أبو بكر وبما عملت به فيها منذ وليتها وإلا فلا تكلماني فيها.

فقلتما ادفعها إلينا بذلك فدفعتها إليكما بذلك. أنشدكم بالله هل دفعتها إليهما بذلك؟ فقال الرهط نعم.

قال فأقبل على علي وعباس فقال أنشدكما بالله هل دفعتها إليكما بذلك؟ قالا نعم.

قال أفتلتمسان مني قضاء غير ذلك، فوالذي بإذنه تقوم السماء والأرض لا أقضي فيها قضاء غير ذلك حتى تقوم الساعة فإن عجزتما عنها فادفعاها فأنا أكفيكماها".

تعليق على الحديث

تدل هذه الرواية التي وردت في صحيح البخاري، أن سيدنا عليا

وسيدنا العباس رضي الله عنهما أقرا بأن رسول الله ﷺ قال: "لا نورث ما تركنا صدقة".

وهذا الإقرار يهدم ما يسميه كثير من علماء الشيعة بأنه أساس من أسس المذهب الشيعي، ويسمونه "ظلامة الزهراء"، على أساس أنهم ينكرون هذا الحديث ويرون أن أبا بكر رضي الله عنه ظلم السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها، عندما استشهد بهذا الحديث ولم يعطها ميراثها من تركة النبي ﷺ في فدك.

وتفيد هذه الرواية أيضا أن الخلاف حول فدك حسم نهائيا في عهد الفاروق رضي الله عنه بدليل قوله لعلي والعباس رضي الله عنهما: ثم جئتماني وكلمتكما واحدة وأمركما جميع جئتني تسألني نصيبك من ابن أخيك وأتى هذا يسألني نصيب امرأته من أبيها. فقلت: إن شئتما دفعته إليكما على أن عليكما عهد الله وميثاقه لتعملان فيها بما عمل به رسول الله ﷺ وبما عمل به فيها أبو بكر وبما عملت به فيها منذ وليتها وإلا فلا تكلماني فيها.

فقلتما ادفعها إلينا بذلك فدفعتها إليكما بذلك، أنشدكم بالله هل دفعتها إليهما بذلك؟ فقال الرهط نعم. قال فأقبل على علي وعباس فقال أنشدكما بالله هل دفعتها إليكما بذلك؟ قالا نعم. قال أفتلتمسان مني قضاء غير ذلك فوالذي بإذنه تقوم السماء والأرض لا أقضي فيها قضاء غير ذلك حتى تقوم الساعة فإن عجزتما عنها فادفعاها فأنا أكفيكماها".

ثم إن الروايات المتقدمة في هذا الفصل، المنقولة من كتاب "نهج البلاغة"، تتضمن أقوالاً صريحةً من سيدنا علي ﷺ تفيد أن أبا بكر وعمر عملا بالحق، وتقر ببيعتهما، ومناصحته لهما، وتعيين عمر له خليفة له في المدينة عند سفره إلى بيت المقدس، والمصاهرة بينهما، كل هذه الوقائع فيها رد عملي حاسم على العبارات الغاضبة التي وردت في رواية مسلم، والتي يحتمل أنها لم تصدر أصلاً، بدليل عدم ورودها في رواية البخاري، وإن قيلت فإنها صدرت في حالة غضب ولا يعتد بها ولا يحكم بها على السمت العام للعلاقة بين عمر والخلفاء الذين سبقوه، رضي الله عنهم جميعا.

علي يمدح الفاروق رضي الله عنهما ويشهد بتقواه وطاعته لله وإقامته للسنة

وهناك رواية مشهورة في "نهج البلاغة" تحدث فيها علي عن سيرة عمر - رضي الله عنهما - فقال:

"لله بَلاَءُ فُلاَن لَقَد قَوَّم الأَوَد (أي العوج)، ودَاوى العمَد، وأَقَامَ السُنَّة، وخَلفَ البدعَة، وذَهَبَ نَقي الثَّوب، قَليلَ العَيب، أَصَابَ خَيرَها واتَّقَى شَرهَا، أدَّى للّه طَاعتَهَ واتّقَاهُ بحَقه، رَحَل وتَرَكَهُم في طُرُق مُتَشَعبَة لا يَهتَدي إلَيهَا الضَال، ولا يَستَيقنُ المُهتَدِي".

وقد ذكر ابن أبي الحديد شارح نهج البلاغة أن المعني بالنص عمر، وجاء في بعض الروايات أن النص الأصلي كان يشير إلى عمر وأبي بكر - رضي الله عنهما - غير أن المشهور بخصوص هذا النص

أنه ورد في شأن عمر بن الخطاب، وهو مدح ظاهر لا ريب فيه، يشهد بتقوى الفاروق وعمله بالحق وإقامته للسنة.

وقال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة:

سألت عنه النقيب أبا جعفر يحيى بن أبي زيد العلوي فقال لي هو عمر بن الخطاب ، فقلت له : أيثني عليه أمير المؤمنين هذا الثناء؟ فقال : نعم. وأضاف ابن أبي الحديد في موضوع آخر: "إذا اعترف أمير المؤمنين بأنه أقام السنة وذهب نقي الثوب قليل العيب وأنه أدى إلى الله طاعته واتقاه بحقه فهذا غاية مايكون المدح" .

ماذا فعل علماء الشيعة الإمامية تجاه هذا النص؟

قال واحد من مشاهيرهم، وهو ميثم بن علي البحراني، المتوفى في القرن السابع الهجري، قال في شرحه لنهج البلاغة:

"واعلم أن الشيعة قد أوردوا هنا سؤالا فقالوا : إن هذه المادح التي ذكرها في حق أحد الرجلين تنافي ما أجمعنا عليه من تخطئتهما وأخذهما لمنصب الخلافة، فإما ألاّ يكون هذا الكلام من كلامه ﷺ، وإما أن يكون إجماعنا خطأ، ثم حملوا هذا الكلام على التقية وأنه إنما قال هذا المدح - من أجل استصلاح من يعتقد صحة خلافة الشيخين واستجلاب قلوبهم بمثل هذا الكلام".

معنى هذا التأويل أن سيدنا عليا ﷺ أظهر في أبي بكر وعمر خلاف ما يبطن مداهنة ومداراة لعامة المسلمين.!! ومثل هذا الاتهام يعتبر من

أبلغ الإساءة لرجل ضحى بحياته أكثر من مرة من أجل الحق، وعاش به وله في كل حين. وإنما جوزه علماء الشيعة لأنفسهم ورضوا به لأنهم بنوا مذهبهم على الطعن في أبي بكر وعمر وعثمان خاصة، الصحابة عامة ﷺ فكان لزاما عليهم رد كل النصوص التي تثني على الصحابة في كتاب الله وفي السنة والنبوية وفي أقوال سيدنا علي ﷺ، ومنها بوجه خاص النصوص التي تتضمن ثناء على أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم.

وهذا منهج غير علمي، ولا يمكن لإنسان باحث عن الحق أن يقبل به أو يثق في نزاهة أصحابه وأمانتهم؛ إذ المفترض أن يخضع علماء الشيعة الإمامية الإثني عشرية للدليل الواضح الصريح، ويقبلوا به، ويعملوا بمقتضاه، وينصحوا عموم المسلمين الشيعة والسنة بقبول الدليل ورد ما يخالفه من أكاذيب وخرافات وأوهام.

أما الباحث المتجرد للحق فإنه يقرن هذا المدح الظاهر من سيدنا علي في حق عمر - رضي الله عنهما - إلى النصوص السابقة الواردة في هذا الفصل، وأيضا إلى الرواية التي أخرجها الإمام البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - والتي تتضمن ثناءً واضحاً من علي في حق عمر - رضي الله عنهما - مشابهاً لما جاء في نهج البلاغة، سمعه ابن عباس ورواه للناس.

هذا هو نص الرواية:

"حدثنا عبدان أخبرنا عبد الله حدثنا عمر بن سعيد عن ابن

أبي مليكة أنه سمع ابن عباس يقول: وضع عمر على سريره فتكنفه الناس يدعون ويصلون قبل أن يرفع وأنا فيهم، فلم يرعني إلا رجل آخذ منكبي، فإذا علي بن أبي طالب، فترحم على عمر وقال: ما خلفت أحدا أحب إلي أن ألقى الله بمثل عمله منك. وأيم الله إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك، وحسبت إني كنت كثيرا أسمع النبي ﷺ يقول ذهبت أنا وأبو بكر وعمر ودخلت أنا وأبو بكر وعمر وخرجت أنا وأبو بكر وعمر".

هذه الرواية الواضحة في دلالتها، تسند وتدعم الروايات التي وردت في "نهج البلاغة" والمتضمنة ثناء الإمام علي على من سبقه من الخلفاء الراشدين خاصة، وعلى الصحابة الكرام عامة. وهي بذلك تثبت توافق منهج الإمام علي رضي الله عنه مع منهج القرآن الكريم الذي أثنى على الصحابة ومدحهم، ومع أقوال النبي ﷺ وأحاديثه الصحيحة التي بشرت أبا بكر وعمر وعثمان بالجنة، كما بشرت بها عليا رضي الله عنه وستة آخرين من أعلام الصحابة، هم الزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، وأبو عبيدة عامر بن الجراح، وطلحة بن عبيد الله، وعبد الرحمن بن عوف، وسعيد بن زيد ابن عمرو القرشي رضي الله عنهم جميعا وأرضاهم.